وسير الفرنج عشرين ملكا رهنا عند الملك الكامل وبعث الكامل بابنه الملك الصالح نجم الدين
ايوب وجماعة من الامرا الي الفرنج وجلس السلطان مجلسا عظيما القدر ومن ملوك الفرنج وقد
وقف اخوته واهل بيته بين يديه وصار في اهبة وناموس مهاب وخرج قسوس الفرنج
ورهبانهم الي دمياط فسلموها للمسلمين في تاسع عشره وكان يوم تسليمها يوما عظيما
وعندما تسلم المسلمون• دمياط وصارت بايديهم قدمت نجدة في البحر للفرنج وكان
من جميل صنع الله تاخرها حتي ملكت دمياط بايدي المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك•
لتقوي بها الفرنج وصارت بحيث لا ترام ولما تم الامر بعث الفرنج بولد السلطان
وامرايه عليهم وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك في الرهن وتقررت الهدنة
بين الفرنج والمسلمين مدة ثماني سنين• وكان مما وقع الصلح عليه ان كلا من المسلمين والفرنج
يطلق ما عنده من الاسري وحلف السلطان واخوته وحلفت ملوك الفرنج وتفرق الناس
الي بلادهم ودخل الملك الكامل الي دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من
الايام المذكورة ورحل الفرنج الي بلادهم وعاد السلطان الي مقر ملكه واطلقت الاسري
من ديار مصر فكان فيهم من له من ايام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك
الشام بعساكرها الي بلادها وعمت بشارة اخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج
ساير الافاق فان التتر كانوا قد استولوا علي ممالك المشرق واشرف الفرنج علي اخذ ديار مصر•
من ايدي المسلمين وكانت مدة نزول الفرنج علي دمياط الي ان قلعوا عنها سايرين الي بلادهم
ثلاث سنين وثلاثة اشهر وسبعة عشر يوما منها مدة استيلايهم علي مدينة دمياط
سنة وعشرة اشهر واربعة وعشرون يوما فلما كان في سنة ست واربعين وستماية
حدث بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل ورم في مابضه يكون منه
ناصور فتح وعسر برؤه فمرض من ذلك وانضاف اليهم قرحة في الصدر فلزم الفراش
الا ان علو همته اقتضت مسيره من ديار مصر الي الشام فسار في محفة ونزل بقلعة
دمشق• فورد عليه رسول الانبرطور ملك الفرنج الالمانية بجزيرة صقلية في هيئة تاجر
واخبره سرا بان ريدافرنس عازم علي المسير الي ارض مصر واخذها فسار السلطان من
دمشق وهو مريض في محفة ونزل باشموم طناح في المحرم سنة سبع واربعين وجمع
في مدينة دمياط من الاقوات والازواد والاسلحة والات القتال شيا كثيرا خوفا ان

يجري

٧٣

يجري علي دمياط ما جري في ايام ابيه فاخذت بغير ذلك ولما نزل السلطان باشموم
كتب الامير حسام الدين ابي علي بن ابي علي الهذباني نايبه بديار مصر ان يجهز الاسطول
من صناعة مصر فشرع في الاهتمام بذلك• وشحن الاسطول بالرجال والسلاح وساير
ما يحتاج اليه وسيره شيا بعد شي وجهز السلطان الامير فخر الدين يوسف بن شيخ
الشيوخ ومعه الامرا والعساكر فنزل بجيزة دمياط من برها الغربي وصار النيل بينه
وبينها فلما كان في الساعة السابعة من نهار الجمعة لتسع بقين من صفر وردت مراكب
الفرنج البحرية وفيها جموعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل وارسوا بازا
المسلمين وبعث ملكهم الي السلطان كتابا نصه اما بعد فانه لم يخف عنك اني امين
الملة العيسوية كما انه لا يخفي علي انك امين الملة المحمدية وغير خاف عنك ان عندنا اهل
جزاير الاندلس وما يحملوا الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل
منهم الرجال ونرمل النسا ونستاسر البنات والصبيان ونخلي منهم الديار وانا فقد
ابديت لك ما فيه الكفاية وبذلت لك النصح الي النهاية فلو حلفت لي بكل الايمان ودخلت
علي الاقسا والرهبان• وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك في
اعز البقاع فاما ان تكون البلاد لي فيا هدية حصلت في يدي واما ان تكون البلاد لك•
والغلبة علي فيدك العليا ممتدة الي وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي
تملا السهل والجبل وعددهم كعدد الحصي وهم مرسلون اليك باسياف القضا فلما
قري الكتاب علي السلطان وقد اشتد به المرض بكي واسترجع فكتب القاضي بها الدين
زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته علي سيدنا محمد رسول الله واله
وصحبه اجمعين **اما بعد** فانه وصل كتابك وانت تهدد فيه بكثرة جيوشك
وعدد ابطالك فنحن ارباب السيوف وما قتل منا قرن الا وجددناه ولا بغا علينا
باغ الا دمرناه ولو رات عينك ايها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا
منكم الحصون• والسواحل وتخريبنا ديار الاواخر والاوايل لكان لك ان تعض علي انا ملك
بالندم ولا بد ان يزل بك القدم في يوم اوله لنا واخره عليك فهنالك تسي بك الظنون
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون• فاذا قرات كتابي هذا فتكون فيه علي اول
سورة النحل اتي امر الله فلا تستعجلوه وتكون علي اخر سورة ص ولتعلمن نباه بعد حين

Copyright © King Saud University